Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

حرب الشمال العظمى وأثرها في إعادة تشكيل ميزان القوى في أوروبا الشرقية (١٧٠٠-١٧٢١م)

م.م. محمد عدنان سلمان
كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، العراق .
Mohammed.adnan@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
شهدت منطقة بحر البلطيق صراعًا حادًا على السيادة البحرية بين قوى إقليمية، أبرزها السويد من جهة، وروسيا والدنمارك-النرويج وبولندا من جهة أخرى، وتوّج هذا التنافس بحرب الشمال العظمى (١٧٠٠–١٧٢١م). لم تكن الحرب مفاجئة، بل تعود جذورها إلى تصاعد التوتر في تسعينيات القرن السابع عشر نتيجة التنافس على النفوذ والموانئ الحيوية. جاءت في سياق تحولات سياسية وعسكرية كبرى، حيث سعت روسيا بقيادة بطرس الأكبر إلى الانفتاح على البلطيق وتعزيز مكانتها الدولية، بينما حاولت السويد الحفاظ على هيمنتها الإقليمية. أسهمت التحالفات، خصوصًا مع ساكسونيا-بولندا والدنمارك، في توسيع نطاق الصراع ومنحه بعدًا دوليًا واضحًا. يهدف البحث إلى تحليل دور الحرب في إعادة تشكيل ميزان القوى في أوروبا الشرقية، من خلال دراسة التوازن قبلها، وأسباب تراجع السويد، وعوامل صعود روسيا، مع التركيز على أثر معركة بولتافا (١٧٠٩م) في تغيير مسار الحرب. اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي والمقارن لفهم ديناميات الصراع ونتائجه بعناية.
الكلمات المفتاحية : حرب الشمال العظمى، السويد، روسيا، بحر البلطيق، القوى في أوروبا الشرقية

The Great Northern War and Its Impact on the Reshaping of the Balance (of Power in Eastern Europe (1700–1721 A.D

Assist.Lect. Mohammed Adnan Salman
College of Arts /Al-Mustansiriyah University, Baghdad, Iraq
Mohammed.adnan@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:
The Baltic Sea region witnessed intense rivalry over maritime dominance among regional powers, notably Sweden on one side and Russia, Denmark–Norway, and Poland on the other, culminating in the Great Northern War (1700–1721). The conflict was not sudden but rooted in rising tensions during the 1690s, driven by competition over influence and strategic ports. It unfolded amid major political and military transformations, as Russia, under Peter the Great, sought access to the Baltic and a stronger international position, while Sweden aimed to preserve its regional supremacy. Alliances, particularly with Saxony–Poland and Denmark, expanded the war and gave it a broader international dimension. This study examines the war's role in reshaping the balance of power in Eastern Europe by analyzing the pre-war equilibrium, the causes of Sweden's decline, and the factors behind Russia's rise, with particular focus on the impact of the Battle of Poltava (1709). The research adopts a historical-analytical and comparative approach to understand the conflict and its outcomes.
Keyword: Great Northern War, Sweden, Russia, Baltic Sea, power in Eastern Europe
DOI: https:// doi. Org/***
- This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Comnons Attribution (CCBY) license.
-هذه المقالة مفتوحة المصدر وتنشر بموجب شروط واحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CCBY).

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

المقدمة :

أهمية البحث

تكتسب دراسة حرب الشمال العظمى (١٧٠٠–١٧٢١م) أهمية تاريخية كبيرة؛ لأنها تمثل واحدة من أبرز الحروب التي شهدتها أوروبا في مطلع القرن الثامن عشر، إذ لم تقتصر آثارها على الجانب العسكري فحسب، بل امتدت لتشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاستراتيجية. وقد أسهمت هذه الحرب في إحداث تحول جوهري في ميزان القوى في أوروبا الشرقية ومنطقة بحر البلطيق، من خلال إنهاء مرحلة الهيمنة السويدية التي استمرت طوال القرن السابع عشر، وفتح المجال أمام صعود روسيا القيصرية بوصفها قوة أوروبية كبرى. كما تكمن أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على طبيعة التنافس الدولي والإقليمي بين القوى الأوروبية، ودور التحالفات العسكرية في تغيير موازين القوى، فضلاً عن إبراز أهمية معركة بولتافا بوصفها نقطة تحول حاسمة في تاريخ الصراع الأوروبي. كذلك تساعد دراسة هذه الحرب على فهم الجذور التاريخية للمكانة الدولية التي احتلتها روسيا لاحقاً، ودورها المتنامي في السياسة الأوروبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

اهداف البحث

جاء اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب علمية وتاريخية، في مقدمتها الأهمية الكبيرة التي تحتلها حرب الشمال العظمى في تاريخ أوروبا الحديث، بوصفها حرباً أسهمت في إعادة تشكيل الخريطة السياسية لأوروبا الشرقية. كما أن هذه الحرب تمثل نموذجاً مهماً لدراسة أثر الحروب طويلة الأمد في تغيير موازين القوى الدولية وصعود قوى جديدة على حساب قوى تقليدية. ويعود اختيار الموضوع أيضاً إلى الرغبة في تسليط الضوء على مرحلة مفصلية من تاريخ روسيا القيصرية، وما شهدته من إصلاحات سياسية وعسكرية في عهد بطرس الأكبر، انعكست بصورة مباشرة على نتائج الحرب. فضلاً عن ذلك، فإن الدراسات العربية التي تناولت حرب الشمال العظمى ما تزال محدودة مقارنة بأهميتها التاريخية، الأمر الذي شجع على تناولها بالبحث والتحليل لإثراء المكتبة العربية بدراسة تتناول أسباب الحرب ومراحلها ونتائجها وأثرها في إعادة تشكيل ميزان القوى في أوروبا الشرقية.

إشكالية البحث

تنطلق الدراسة من إشكالية رئيسة تتمثل في التساؤل الآتي: كيف أسهمت حرب الشمال العظمى (١٧٠٠–١٧٢١م) في إعادة تشكيل ميزان القوى في أوروبا الشرقية، وما العوامل التي أدت إلى انتقال مركز القوة من السويد إلى روسيا القيصرية؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية، منها:

- ما الأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية التي أدت إلى اندلاع حرب الشمال العظمى؟
- ما طبيعة الأهداف التي سعت الدول المتحاربة إلى تحقيقها خلال الحرب؟
- كيف تطورت مراحل الحرب، وما أبرز المعارك التي أسهمت في تغيير مسارها؟
- ما العوامل التي أدت إلى تراجع النفوذ السويدي وفقدانه الهيمنة على منطقة بحر البلطيق؟
- كيف تمكنت روسيا بقيادة بطرس الأكبر من استثمار الحرب لتحقيق الصعود السياسي والعسكري؟
- ما أثر نتائج الحرب في إعادة تشكيل التوازنات السياسية والاستراتيجية في أوروبا الشرقية؟

تقسيم البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى محورين رئيسين، يسبقهما تمهيد ويتبعهما خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة. تناول المحور الأول أطراف النزاع في حرب الشمال العظمى وأسباب دخولها الحرب، مع بيان الدوافع السياسية والاقتصادية والعسكرية لكل دولة مشاركة. أما المحور الثاني فقد خُصص لدراسة مراحل الحرب وتطوراتها العسكرية، من خلال تتبع أبرز المعارك

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

والأحداث التي شهدها الصراع، وصولاً إلى تحليل النتائج النهائية للحرب وأثرها في إعادة تشكيل ميزان القوى في أوروبا الشرقية وصعود روسيا القيصرية على حساب السويد.

أولًا: أطراف النزاع في حرب الشمال العظمى واسباب دخولها الحرب

Parties to the conflict in the Great Northern War and the reasons for entering the war

أ- السويد

كانت السويد في القرن السابع عشر تحتل مكانةً بارزةً في أوروبا من الناحية الاقتصادية؛ لكثرة غاباتها ووفرة المعادن فيها، فضلًا عن سيطرتها على المناطق المتاخِمة للبلطيق التي لعبت دورًا مهمًا في تطورها الاقتصادي، لا سيما المحاصيل الزراعية، فأصبحت السويد في أواسط القرن السابع عشر الدولة الأولى المُصدِّرة للحديد والنحاس والخشب إلى أغلب الدول الأوروبية (التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ٢٠١٧).

واستطاع ملك السويد غوستاف الثاني أدولف Gustav II Adolf (١٦١١-١٦٣٢م) أن يجعل بحر البلطيق بحيرةً سويديةً بعد اشتراكه في حرب الثلاثين عامًا (١٦١٨-١٦٤٨م)، وكذلك استفادت السويد من صلح ويستفاليا Westphalia ١٦٤٨م الذي أنهى حرب الثلاثين عامًا، إذ استحوذت على مقاطعة بوميرانا الغربية (Western Pomerania) الواقعة في شمال شرق ألمانيا على ساحل البلطيق، فضلًا عن سيطرتها على عدد من مصبات الأنهار الحيوية مثل الألب (Elbe) الذي يصل إلى بحر الشمال مرورًا بالتشيك، والأودر (Oder) الذي يمر بالتشيك وبولندا وإلى بحر البلطيق، والفيزر (Weser) في الأراضي الألمانية وصولًا إلى البلطيق (صالح، ١٩٨٢).

يرى الباحث روبرت فروست (Robert Frost) أن اعتلاء تشارلز الحادي عشر (Charles XI) (١٦٦٠-١٦٩٧)عرش السويد، أسهم في إحداث تحول جوهري في البنية المالية والإدارية للدولة، ووسع السلطة الملكية على حساب طبقة النبلاء العليا والطبقات الإرستقراطية، وأسس نظامًا ملكيًّا مطلقًا لم ينتهِ إلا بوفاة ابنه تشارلز الثاني عشر عام ١٧١٨م، وجعل من السويد قوةً كبرى في أوربا الأمر الذي مكنها قبيل نهاية القرن الثامن عشر من بلوغ مستوى متقدم من الجاهزية العسكرية مقارنة بالمراحل السابقة، وانعكس ذلك في قدرتها على إدارة العمليات العسكرية بكفاءة، والسعي إلى احتواء القوة الروسية التي كانت تهدف إلى التوسع في بحر البلطيق، فضلًا عن تقييد النفوذ الدنماركي، وتأمين سواحل بحر البلطيق، وتعزيز منظومتها الدفاعية لمواجهة أي تحدٍّ محتمل(Frost, 2000) .

زادت مكانة السويد في أوروبا مع ارتقاء العرش السويدي تشارلز الثاني عشر Charles XII عام ١٦٩٧م، البالغ خمسة عشر عامًا، الذي كان يمتلك شخصيةً عسكريةً صارمةً ونزعةً هجوميةً (بالمر، ١٩٦٤). وفي الوقت الذي لم يكن عند صناع القرار في الدول المجاورة أي معلومات عن طموحه ورغبته الشديدة في التوسع العسكري على حساب البلدان المجاورة له، الذين اعتقدوا أنه من السهولة القضاء على السويد، لاسيما المقاطعات التي كانت خاضعة لسلطتهم جراء المعاهدات السابقة مثل الدنمارك أو روسيا التي تريد زيادة نفوذها على بحر البلطيق (Roberts, The Swedish Imperial Experience 1560- 1718, 1979).

ب- بولندا

كانت بولندا في أواسط القرن السابع عشر ثاني أكبر دولة أوربية من حيث المساحة بعد روسيا، ولم يشكل البولنديون الأغلبية المطلقة داخل بلدهم، إذ أدى الاتفاق مع إمارة ليتوانيا (Lithuania) في ١٥٦٩م الذي عُرف باتحاد لوبلين (Union of Lublin) إلى تكوين كومنولوث بين البلدين، مما أفضى إلى تنوع القوميات وازدياد مساحتها، وسُمي هذا الاتفاق نسبة إلى مدينة لوبلين الواقعة شرق

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

بولندا التي عُقد فيها، كما أُطلق على الاتحاد في المصادر اسم "ريتش بوسبوليتا" (Rzeczpospolita) أي الجمهورية (التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ٢٠١٧).

كانت بولندا من الدول الناقمة على الحكم السويدي، فلما تولى الملك البولندي أغسطس كان وقتها ناخبًا لسكسونيا(Saxony) باسم فردريك أغسطس الثاني (Frederick Augustus II) (١٦٩٤-١٧٣٣م)، كان هدفه إقامة حكم مطلق في بولندا وقيام اتحاد بين بولندا وسكسونيا من أجل دحر السويد وكذلك آل هابسبرك (Habsburg) في وسط أوروبا وشرقها، فضلًا عن غزو ليفونيا (Livonia)، الإقليم الذي يقع على الساحل الشرقي لبحر البلطيق، ولكسر الهيمنة الاقتصادية السويدية في بحر البلطيق، وفي الوقت نفسه كان ينوي تطوير قاعدة بولندا الصناعية باستخدام المواد الخام، ومع ذلك لم يستطع تحقيق ما خطط له، إذ بقيت السويد قوى كبرى أمامه ومنافسًا تجاريًا في بحر البلطيق (نوار، د.ت).

إن دخول بولندا الحرب كان لأسباب داخلية وخارجية، إذ أشار الباحث روبرت فروست إلى أن وفاة (تشارلز الحادي عشر) سنة ١٦٩٧م واعتلاء ابنه القاصر (تشارلز الثاني عشر) العرش خلق انطباعًا بأن السويد أصبحت ضعيفةً، وأن الوقت مناسب لتصفية الحسابات معها على الصعيد الخارجي، أما داخليًا فكان فريدريك في الأصل ناخب ساكسونيًا، وقد رأى في الحرب فرصةً لتعزيز مكانته داخل الاتحاد البولندي، وسعى إلى كسب مجد عسكري يقوي سلطته الملكية التي كانت ضعيفةً بنيويًا في النظام البولندي (Frost، ٢٠٠٠). لذا قام بعقد تحالف مع روسيا عام ١٦٩٩م ضد السويد.

ج- الدنمارك

تُعدُّ الدنمارك من الدول الزراعية المشهورة في أوروبا، وشهدت تطورًا ملحوظًا في عصر النهضة من هذه الناحية، ومثلت السويد الجارة منافسًا شديدًا لها، وعند قيام حرب الثلاثين عامًا (١٦١٨-١٦٤٨م)، تعرضت الدنمارك لهزيمة على أيدي السويديين، على أثرها عقدت اتفاقية عُرفت بصلح روسكيلده ١٦٥٨م (Treaty of Roskilde) الذي تخلت بموجبه الأخيرة عن ممتلكاتها في شبه الجزيرة الإسكندنافية باستثناء النرويج، فانعكست آثارها على الوضع الداخلي، إذ تدهورت الأحوال الاقتصادية، ومع ذلك استمرت الدنمارك دولةً إقطاعيةً في الوقت الذي فشلت فيه إصلاحات الملكان فريدريك الثاني (FrederickII ١٦٤٨ - ١٦٧٠م) وكريستيان الخامس (ChristianV ١٦٧٠ - ١٦٩٩م) كمحاولة لتحسين الوضع الداخلي، والاعتماد عليه في مواجهة الأخطار الخارجية، وكل ما حققته سياستها في هذا المجال، ترسيخ وضع الدنمارك كدولة إقطاعية بيروقراطية، وبالمقابل زادت المعارضة الداخلية على سياسات ملوكها (التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ٢٠١٧). لم تنهِ معاهدة روسكيلده الصراع بين السويد والدنمارك، إذ تركت عددًا من المسائل من دون حل، وأبقت حالةً من التوتر الكامن بين الطرفين، لذلك عقدت اتفاقية جديدة عُرفت بمعاهدة كوبنهاغن (Copenhagen) عام ١٦٦٠م، تجددت النزاعات بين الطرفين مجددًا في حرب سكانيا (Scania War ١٦٧٥–١٦٧٩م) التي تعد إحدى المحطات المهمة في تاريخ الصراع بين السويد والدنمارك-النرويج، وكشفت عن هشاشة الوضع السياسي بينهم، مثلت هذه الحرب محاولةً دنماركيةً لاستعادة نفوذها المفقود، لكنها لم تفضِ إلى تسوية حاسمة للصراع، لان سكانيا بقيت ضمن حدود السويد (Frost، ٢٠٠٠). ظلت الدنمارك ساخطةً على فقدان سيطرتها وهيمنتها السابقة في منطقة المضائق، في حين كانت السويد تواصل بسط نفوذها على مناطق واسعة من بحر البلطيق. ومع وفاة الملك شارل الحادي عشر عام ١٦٩٧م واعتلاء شارل الثاني عشر العرش، رأت الدنمارك في ذلك فرصةً مناسبةً لاستغلال ما اعتقدته ضعفًا في الدولة السويدية، فضلًا عن سعيها إلى الحد من الهيمنة

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

السويدية، وبهدف توجيه ضربة مشتركة للسويد قررت الدنمارك التحالف مع أغسطس الثاني وبطرس الأول (Frost، ٢٠٠٠).

د- روسيا

تُعدُّ روسيا أكبر بلدان القارة الأوروبية من حيث المساحة، وكانت مقسمةً على عدة إمارات مثل: إمارة موسكو وإمارة كييف وغيرها منذ عهد السيطرة المغولية التي بدأت تدريجيًّا في النصف الأول من القرن الثالث عشر عليها وصولًا إلى حكم إيفان الرابعIvan IV الملقب بـ "الرهيب"، (١٥٤٧-١٥٣٣م) (التكريتي، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث، ٢٠١٥)، الذي يُعدُّ حكمه مرحلةً مفصليةً في تاريخ روسيا وتوسعها الإقليمي، إذ أسهم في تحويلها من مجموعة إمارات متفرقة إلى كيان سياسي مركزي قوي، وعمل على تقويض نفوذ طبقة البويار وتعزيز السلطة المطلقة للقيصر، كما أجرى إصلاحات إدارية وقانونية هدفت إلى تنظيم مؤسسات الدولة وترسيخ هيبتها، لكن ضعف القياصرة من بعد إيفان أحدث صراعًا داخليًّا وصولًا إلى عهد بطرس الأكبر Peter the Great (١٦٨٢-١٧٢٥م)(Massie, 1980)

دخلت روسيا في عهد بطرس تاريخًا جديدًا، إذ أصبحت دولةً حديثةً تنافس دول الغرب الأوروبي، وتم تنظيم الإدارة والقضاء والجيش والطبقات الاجتماعية المختلفة على أسس حديثة، وتطورت الصناعة والتجارة بشكل سريع ولافت للأنظار، ودخلت تقنيات مهمة في التدريب التقني والعلوم (فرنادسكي،، ٢٠٠٧) . ووضع نصب عينيه أن الإصلاحات لا يمكنها الاستمرار والتطور ومنافسة الدول الأخرى من دون تحديث المؤسسة العسكرية، لذا أسند بطرس قيادة الجيش إلى القائد شرمتييف Shermtie (١٦٥٢- ١٧١٩م)، الذي عمل على إدخال برامج عسكرية حديثة في الجيش الروسي على غرار الجيوش في غرب أوروبا (فرنادسكي،، ٢٠٠٧). وكان هدف بطرس الوصول إلى المياه الدافئة في الشرق، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بجعل بحر البلطيق ضمن الهيمنة الروسية للتوسع، وكانت السويد وقوتها تقف في وجه ذلك الهدف، إذ تُعدُّ أخطر قوة على مستقبل بطرس وروسيا (نوار، د.ت).

يرى المؤرخ الأمريكي روبرت ماسي أن دخول روسيا حرب الشمال العظمى عام ١٧٠٠م شكل تحولًا استراتيجيًّا حاسمًا في سياسة بطرس الأكبر الخارجية، وجاء نتيجة تداخل عوامل شخصية واستراتيجية وجيوسياسية، فخلال لقائه بأغسطس الثاني ملك بولندا في مدينة راڤا Rava الحدودية بين بولندا وأوكرانيا، تأثر القيصر بالمشروع الساكسوني الهادف إلى مهاجمة السويد مستغلين صغر سن الملك تشارلز الثاني عشر، إذ يؤكد ماسي أن الاتفاق الأولي على الهجوم تبلور في ذلك اللقاء، وأن أغسطس كان صاحب الدور المباشر في توجيه بطرس نحو هذا الخيار الحربي (Massie، ١٩٨٠).

في الوقت نفسه كان بطرس قد عاد من سفرته الكبرى إلى أوروبا متأثرًا بالنموذج البحري والتجاري الغربي، وأدرك أن الحرب العثمانية في الجنوب توشك على الانتهاء، مما جعل منفذ البحر الأسود غير كافٍ لتحقيق طموحاته البحرية، ومن ثم بدا له اختراق الحاجز السويدي في البلطيق وسيلةً لفتح طريق بحري مباشر إلى الغرب، وهو ما عدَّه خطوةً أساسيةً في مشروع تحديث الدولة الروسية، كذلك نظر بطرس إلى المقاطعات البلطيقية – ولا سيما إنغريا وليفونيا – بوصفها أراضي كانت خاضعةً سابقًا للنفوذ الروسي، مما أضفى على الحرب بعدًا "استرداديًّا" في وعيه السياسي (Massie، ١٩٨٠). إذًا يمكن القول إن دخول روسيا الحرب لم يكن تدخلًا انفعاليًّا أو مغامرةً عسكريةً معزولةً، بل كان نتيجة حسابات دقيقة هدفت إلى كسر الطوق الجغرافي المفروض على روسيا وتحويلها إلى قوة بحرية أوربية فاعلة تتجه إلى المياه الدافئة.

ه- الدولة العثمانية

كانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت تسيطر على العديد من الدول في منطقة البلقان مثل: صربيا، مقدونيا، ألبانيا، اليونان، وتحاول دومًا الحفاظ على سيطرتها على تلك الدول أو المدن، بالإضافة إلى

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

هيمنتها على البحر الأسود مع حليفتها السويد، وفكر بطرس في دحر نفوذ العثمانيين في البحر الأسود كمرحلة أولى للوصول إلى هدفه، وبما أن روسيا في حال حرب شبه مستمرة مع العثمانيين منذ انضمام الروس إلى العصبة المقدسة (Holy League) في عام ١٦٨٦م لمواجهة خطر العثمانيين على أوروبا، قرر بطرس عام ١٦٩٥م أن يستأنف العمليات العسكرية ضدها، بمهاجمة مناطق بحر آزوف الواقع على الحدود الروسية الأوكرانية، غير أنها لم تسفر عن نتائج مهمة، ولم يستطع حلف العصبة المقدسة متابعة الهجوم على العثمانيين؛ بسبب قيام حرب الوراثة الإسبانية (١٧٠١-١٧١٤م)، لذلك اضطر بطرس إلى عقد هدنة عام ١٧٠٠م مع العثمانيين لمدة سنتين أهم ما جاء فيها: أن تحتفظ روسيا بمدينتي آزوف وتاجانروج الواقعتين على البحر الأسود، وأقر لروسيا أن تفتح سفارةً في إسطنبول تتمتع بمزايا سفراء الدول الأوروبية نفسها.

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية لم تشارك في بداية حرب الشمال فإنها دخلت الحرب بعد الانتصار الروسي على الملك السويدي عام ١٧٠٩م الذي دخل لاجئًا إليها فدعمته بالتجهيزات العسكرية والأموال اللازمة لاستئناف الحرب لا سيما بعد تهديد بطرس الأكبر للعثمانيين (حسون، د.ت)، عندها قررت دخول الحرب عام ١٧١٠م.

ثانيًا: مراحل الحرب Stages of the war

بعد ان وضحنا الدول المشاركة في الحرب وسبب دخول كل دولة الحرب، يمكننا الان تقسيم مسار حرب الشمال العظمى على أربع مراحل رئيسة على أساس المعارك العسكرية التي ستعكس تطور مسار الصراع وتحول موازين القوى: المرحلة الأولى (١٧٠٠- ١٧٠٦م)، المرحلة الثانية (١٧٠٧-١٧٠٩م)، الثالثة (١٧٠٩- ١٧١٤م)، والأخيرة (١٧١٤- ١٧٢١م)(Trueman, 2015) .

- **المرحلة الأولى من معركة نارفا إلى التفوق السويدي المؤقت ١٧٠٠ - ١٧٠٦م**

بدأت أولى جبهات الحرب بغزو الدنماركيون غوتورب (Gottorf) التي هي جزء من مدينة هولشتاين(Holstein) خلال بدايات شهر شباط من عام ١٧٠٠م، وكان دوق غوتورب متزوجًا من أخت ملك السويد تشارلز الثاني عشر (التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ٢٠١٧)، الذي قرر الدفاع عن هذه الدوقية وبمساعدة أسطول أنجلو-هولندي بالإضافة إلى البحرية الخاصة بهم، إذ نجحوا في طرد الدنماركيين، في المقابل غزا السويديون زيلاند (Sjaelland) أكبر جزيرة دنماركية تقع على بحر البلطيق، وهددوا باجتياح كوبنهاغن، إن الانتصارات التي حققتها السويد أجبرت ملك الدنمارك فريدريك الرابع Frederick IV (١٦٧١- ١٧٣٠م) في آب ١٧٠٠م، على الانسحاب من الحرب، ووقع معاهدة ترافينثال (Treaty of Traventhal)، اعترفت بموجبها الدنمارك باستقلال دوقية هولشتاين-غوتورب وحمايتها، والتزام الدنمارك بعدم مهاجمة حلفاء السويد (ياغي، ١٩٩٣).

في الوقت الذي كانت الحرب فيه قائمةً بين الدنمارك والسويد غزا أغسطس الثاني ملك بولندا في شباط من عام ١٧٠٠م ليفونيا وحاول السيطرة على ريغا (Riga) أهم مدينة سويدية في ليوفنيا، لكنه انسحب بسرعة عندما علم بنقل الجيش السويدي إلى ليفونيا من الدنمارك، وتمكنت السويد من الانتصار على قوات أغسطس، وأجبرته على الانسحاب إلى داخل أراضيه، الوضع الذي استغلته القوات الروسية بتوجيهها حملةً عسكريةً إلى الأراضي السويدية لكن القوات السويدية انتصرت على الجيش الروسي في معركة نارفا (Narva) بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٧٠٠م، عندها أصبح الطريق مفتوحًا أمام ملك السويد لدخول الأراضي البولندية وعزل أغسطس عن العرش، واختار قائد مدينة بوزنان العسكري ستانسلاف ليشينسكي(Stanisław Leszczyński) ملكًا على بولندا، ولإزاحة أغسطس نهائيًا من المسرح السياسي البولندي لاحقته القوات السويدية وبالتعاون مع قوات ليشينسكي، وتعرض أغسطس الذي تعرض لهزيمة اضطر على إثرها توقيع معاهدة ألترانشتات (Treaty of Altranstädt) في ٢٤ أيلول ١٧٠٦م تنازل بموجبها عن العرش لصالح ليشينسكي (التكريتي، موجز

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ٢٠١٧). وبذلك اختفى اسم أغسطس بصورة مؤقتة عن بولندا؛ لأنه سوف يعود بعد تطورات المرحلة الثانية من الحرب مرة أخرى ملكًا كما سنرى.

وقبل تنفيذ مشروعه التوسعي اتخذ الملك السويدي تشارلز من بولندا مقرًّا له لإعداد قوة قتالية تمكنه من دحر الروس، لكن مهمته لم تكن سهلةً، إذ واجه معارضةً من قِبل النبلاء المتعاونين مع أغسطس وبطرس، وكذلك من العسكريين البولنديين الرافضين للوجود السويدي، غير أن المعارضة لم تؤثر في طموحه في الزحف على الأراضي الروسية، إذ تمكن من دحر المعارضين في معارك سكسونيا وكليشوف (Kliszów)، وبعد النجاحات العسكرية وبحلول ربيع عام ١٧٠٦م، أصبح لتشارلز الكلمة العليا في البلاد، وأجبر كلًّا من الروس والسكسونيين على اتباعه، وبيده زمام المبادرة في كل ما يتعلق بمستقبل بولندا في الأصعدة كافة (أندرسون، ١٩٨١).

بينما كان تشارلز الثاني عشر يركز على بولندا، قام بطرس الأكبر عام ١٧٠٤م بتوغلات في أجزاء من بحر البلطيق خاضعة لسيطرة السويد، وهما دوربات ونارفا، ورغم خوض الجيش السويدي معارك في الدنمارك وبولندا، فإن وضعه كان على أعلى الاستعداد لمهاجمة الروس، لذا تنازل بطرس عن المناطق دوربات ونارفا من أجل صنع سلام مؤقت، لم يقتنع تشارلز بذلك، وعدَّ روسيا خطرًا دائمًا على مستقبله في بحر البلطيق، لذلك أعد حملةً ضد روسيا، وبدأ بغزوها في عام ١٧٠٧م، وكان تشارلز قد خطط لهجوم من خلال محورين: الأول بقيادته يسير من الأراضي البولندية، والثاني ينطلق من السويد لغرض تجهيز الجيش الأول بالإمدادات (Trueman، ٢٠١٥).

يتضح من خلال المرحلة الأولى، من الحرب أن السويد استطاعت تحقيق تفوق عسكري سريع مكنها من تحييد خصومها تباعًا، وإخراج الدنمارك من الحرب، وإضعاف بولندا-ساكسونيا، وفرضت نظامًا سياسيًّا مواليًا لها داخل الكومنولث البولندي-الليتواني. غير أن هذا التفوق كان في جوهره تكتيكيًّا أكثر منه استراتيجيًّا، إذ أدى انشغال الملك تشارلز الثاني عشر في الشؤون البولندية إلى منح روسيا بقيادة بطرس فرصةً ثمينةً لإعادة بناء قواتها وتطوير قدراتها العسكرية، مما جعل النصر السويدي مؤقتًا.

- **المرحلة الثانية (١٧٠٧–١٧٠٩م): من غزو روسيا إلى معركة بولتافا**

بعد سلسلة الانتصارات التي حققها الملك السويدي تشارلز الثاني عشر في أوروبا الوسطى، لا سيما في بولندا وساكسونيا والدنمارك، أجبر الملك أغسطس الثاني على التنازل عن العرش البولندي، وأصبح الطريق مفتوحًا أمام السويديين للتفرغ لمواجهة روسيا كما ذكرنا(Konstam, 1994) .

ففي عام ١٧٠٧م بدأ تشارلز التخطيط لحملة كبرى تهدف إلى القضاء على قوة روسيا الصاعدة وإجبار القيصر بطرس الأكبر على الخضوع لشروط السويد، وقد حشد الملك السويدي جيشًا قوامه ٤٠ ألف جندي، عُدَّ وقتها من أفضل الجيوش الأوروبية تدريبًا وانضباطًا(Frost, 2000) .

انطلقت الحملة من الأراضي البولندية باتجاه الشرق، وكان هدفها المباشر التقدم نحو موسكو عبر الأراضي الليتوانية والروسية، غير أن الروس الذين تعلموا من هزائمهم السابقة اعتمدوا إستراتيجيةً جديدةً تقوم على الانسحاب التدريجي وتدمير الموارد (الأرض المحروقة) أمام الجيش السويدي، وهي سياسة عسكرية تهدف إلى إنهاك العدو قبل المواجهة الحاسمة وقطع المؤن والإمدادات عنه(Massie, 1980) .

مع تقدم الجيش السويدي داخل الأراضي الروسية عام ١٧٠٨م بدأت تظهر صعوبات كبرى أمامهم، إذ واجه السويديون مشكلات في التموين بسبب المسافات الشاسعة، وخطة الروس من خلال الاستراتيجية الجديدة (الأرض المحروقة)، كما أدى المناخ الروسي القاسي إلى تفاقم الوضع، وعانى الجنود من نقص الغذاء والملابس والخيول(Frost, 2000) .

قرر تشارلز تغيير خطته العسكرية والتوجه جنوبًا نحو كييف، في محاولة منه لتجاوز الصعوبات، إذ كان يأمل الحصول على دعم القوزاق بقيادة إيفان مازيبا (Ivan Mazepa) (١٦٣٩-١٧٠٩م) الذي

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

تمرد على السلطة الروسية وانضم إلى السويديين(Plokhy, 2001) . غير أن تلك الخطوة لم تحقق النتائج المرجوة، إذ تمكن الروس من تدمير قاعدة مازيبا في مدينة باتورين قبل وصول الجيش السويدي، مما حرم السويديين من المؤن والدعم العسكري المتوقع(Konstam, 1994) .

كما تعرَّض الجيش السويدي لضربة كبيرة عندما هاجمت القوات الروسية قافلة الإمدادات القادمة من ليفونيا بقيادة الجنرال ليفنهاوبت Lewenhaupt (١٦٥٩-١٧٠٩م)، في معركة ليسنايا عام ١٧٠٨م، إذ تكبد السويديون خسائر فادحةً، وفقدوا معظم المؤن والذخائر التي كانوا يعتمدون عليها لاستكمال الحملة (Frost, 2000) . وتأثر الجيش السويدي مع دخول فصل الشتاء (١٧٠٨–١٧٠٩م) أحد أكثر الفصول قسوةً في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، الذي كان يعاني أصلًا من نقص الإمدادات، وهلكت أعداد كبيرة من الجنود والخيول بسبب البرد والجوع والأمراض(Massie, 1980) .

وفي ظل تلك الظروف الصعبة تقلص عدد الجيش السويدي بشكل كبير، مما جعل تشارلز الثاني عشر مضطرًّا إلى البحث عن معركة حاسمة تعيد له زمام المبادرة قبل أن ينهار جيشه بالكامل، لذا قرر التوجه إلى مدينة بولتافا، لمواجهة الروس في معركة بولتافا التي حدثت في ٨ تموز ١٧٠٩م، وقد حاول تشارلز مهاجمة القوات الروسية التي كانت تتمركز بالقرب من مدينة بولتافا في أوكرانيا، إلا أن إصابة الملك السويدي قبل المعركة اضطرته إلى قيادة العمليات من معسكره بدلًا من قيادة الجيش ميدانيًّا(Konstam, 1994) . أما الجيش الروسي بقيادة بطرس الأكبر فكان على استعداد للمواجهة الحاسمة، فأعاد تنظيم نفسه بشكل كبير خلال السنوات السابقة مستفيدًا من إصلاحات عسكرية شاملة وضعها بطرس شملت التدريب والتسليح والتنظيم، وبلغ عدد القوات الروسية نحو ٤٥ ألف جندي مدعومين بمدفعية قوية وتحصينات ميدانية(Frost, 2000) .

عندما بدأ الهجوم السويدي واجهوا شبكةً من التحصينات الروسية، مما أدى إلى تفكك صفوف الجيش السويدي قبل الوصول إلى الخطوط الرئيسة، وبعد معركة شرسة تمكن الجيش الروسي من تطويق القوات السويدية وإلحاق هزيمة ساحقة بها(Massie, 1980) .

انتهت المعركة بخسارة السويد لمعظم جيشها، واضطر تشارلز إلى الفرار نحو الدولة العثمانية برفقة عدد قليل من جنوده، أما بقية الجيش السويدي فقد استسلموا بعد أيام قليلة من المعركة في بيريفولوتشنا (Perevolochna) الواقعة قرب نهر الدنيبر في أوكرانيا (Konstam, 1994) .

من خلال المرحلة الثانية، يتضح لنا أن الحملة السويدية على روسيا مثلت ذروة الطموح التوسعي للملك تشارلز، غير أنها كشفت في الوقت ذاته عن حدود القوة السويدية عندما تواجه حربًا طويلة الأمد قائمةً على الاستنزاف المادي والمعنوي. بينما تمكنت روسيا بقيادة بطرس من توظيف إستراتيجية الأرض المحروقة، وإدارة الصراع بطريقة تقوم على إنهاك العدو بدلًا من مواجهته المباشرة، مستفيدة من عامل الزمن والمساحة الجغرافية الشاسعة. كما اعتمد تشارلز على متغيرات غير مضمونة من خلال تحالفه مع مازيبا الذي سقط سريعًا، وعليه فإن هزيمة السويد في بولتافا لم تكن حدثًا مفاجئًا، بل نتيجةً حتميةً لمسار طويل من الاستنزاف والتفوق الإستراتيجي الروسي، الأمر الذي مهد لصعود روسيا كقوة كبرى في أوروبا الشرقية.

- **المرحلة الثالثة (١٧٠٩–١٧١٤م): إعادة تشكيل التحالفات وصعود روسيا في بحر البلطيق**

مثلت معركة بولتافا عام ١٧٠٩م نقطة تحول حاسمة في حرب الشمال العظمى (١٧٠٠–١٧٢١)، إذ أنهت التفوق العسكري السويدي الذي استمر طوال القرن السابع عشر، وفتحت الباب أمام صعود روسيا القيصرية قوةً رئيسةً في شمال أوروبا، وقد بدأت بعد تلك المعركة مرحلة جديدة من الحرب امتدت بين 1709و١٧١٤م، اتسمت بإعادة تشكيل التحالفات الأوروبية ضد السويد، وتوسيع العمليات العسكرية في منطقة بحر البلطيق، إضافة إلى تعاظم النفوذ الروسي في المنطقة(Freedman, 2013) .

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

استغلت القوى الأوروبية الوضع لإعادة تشكيل التحالف الذي كان قد تفكك في بداية الحرب، فقد عاد أغسطس الثاني إلى عرش بولندا ١٧٠٩م بدعم روسي، كما دخلت الدنمارك-النرويج الحرب مجددًا ضد السويد، في حين بدأت روسيا بقيادة القيصر بطرس الأكبر مرحلة توسع عسكري في منطقة البلطيق (Roberts, The Age of Charles XII of Sweden, 1978).

وقد أدى ذلك التحول في ميزان القوى إلى انتقال المبادرة العسكرية بالكامل إلى خصوم السويد، الأمر الذي جعلها في موقف دفاعي خلال السنوات القادمة من الحرب.

أما روسيا فركزت جهودها على السيطرة على المقاطعات الساحلية في منطقة البلطيق التي كانت تمثل جزءًا مهمًّا من الإمبراطورية السويدية، ففي عام 1710م تمكنت القوات الروسية من السيطرة على مدن في ليفونيا وإستونيا، مثل ريغا Riga وريفال Reval المهمة، إذ شكلت مراكز تجاريةً وعسكريةً رئيسةً في بحر البلطيق، وأدت إلى تقليص النفوذ السويدي فيها(Stone, 2006) . وفي الوقت نفسه طور بطرس عاصمته سانت بطرسبورغ لتصبح قاعدةً رئيسةً للأسطول الروسي ومركزًا سياسيًّا مهمًّا (التكريتي، - ، روسيا "١٧٠٠- ١٩١٤"، د.ت).

في المقابل حاولت السويد إعادة تنظيم دفاعاتها لمواجهة الهجمات المتعددة التي كانت تتعرض لها من خصومها، وقد ركزت القيادة السويدية على حماية أراضيها الأساسية في فنلندا والسواحل الإسكندنافية، وفي الوقت نفسه واصلت الدنمارك والنرويج شن حملات عسكرية ضد الأراضي السويدية، بينما استمرت القوات الروسية في التقدم في منطقة البلطيق، والتي أدت إلى إضعاف السيطرة السويدية على العديد من المقاطعات التي كانت تمثل جزءًا مهمًّا من إمبراطوريتها(Black, 1994) .

شهدت المرحلة الثالثة معركة هانغو (Hanko) البحرية التي وقعت عام 1714م بين الأسطولين الروسي والسويدي، والتي مثلت نقطة تحول في الصراع البحري وكانت أول انتصار بحري كبير تحققه روسيا في تاريخها الحديث، إذ استطاع الأسطول الروسي الذي أُعيد تنظيمه وتطويره خلال إصلاحات بطرس الأكبر، أن يهزم القوات البحرية السويدية ويكسر سيطرتها التقليدية على بحر البلطيق(Black, 1994) . وقد مثل الانتصار تحولًا مهمًّا في ميزان القوى البحرية في المنطقة، وأظهر أن روسيا أصبحت قادرةً على منافسة القوى البحرية الأوروبية وليس البرية فقط.

في عام ١٧١٤م وجد الملك تشارلز نفسه في وضع صعب؛ بسبب عدم رجوعه إلى السويد، وكانت جميع الطرق المحتملة للعودة محفوفةً بالمخاطر، نتيجةً لذلك بقي في الدولة العثمانية، ومع عزله أحيا تحالف الدنمارك وبولندا وروسيا نفسه، واستعاد أغسطس لقبه في بولندا عندما هرب ستانيسلاس القائد الذي عينه الملك السويدي، وغزت الدنمارك سكاني عام ١٧١٠م، وواصلت روسيا غزوها لدول البلطيق وفنلندا، وكان لدى روسيا القدرة على غزو السويد نفسها في غياب تشارلز(Trueman, 2015) .

وفي أثناء غياب الملك، تولّى المجلس السويدي إدارة شؤون الدولة، واضطرّت السويد إلى الاعتماد على القوات المرتزقة، بعد أن فشلت في تشكيل جيش نظامي خلال فترة زمنية قصيرة، وعندما وصل أحد جيوشها إلى شمال ألمانيا، وجد نفسه عالقًا هناك، إثر تدمير الأسطول البحري وسفن النقل التي كانت تؤمّن له الإمدادات، مما أدى إلى نقص حاد في التموين وانعدام فرص العودة إلى السويد، وفي نهاية المطاف، استسلم الجيش أمام قوة مشتركة (روسية-دنماركية-بولندية) في تونينغ (Tönning) بإقليم هولشتاين(Holstein)، وذلك في أيار ١٧١٣م (التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ٢٠١٧).

وفي إسطنبول، تمكن الملك السويدي تشارلز الثاني عشر من إقناع السلطان العثماني أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م) بشن هجوم على روسيا، في إطار تنسيق غير مباشر مع التحركات السويدية، وقد واجه التنسيق صعوبات لوجستية تمثلت في بطء الاتصال بين الطرفين بسبب بعد المسافات، إذ كان تشارلز ينتظر أحيانًا مدةً طويلةً لتلقي الأخبار تزيد على أسبوعين، وعلى الرغم من أن تشارلز لم يكن

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

يقود العمليات العسكرية ميدانيًّا، فإن الحملة العثمانية حققت نجاحًا ملحوظًا، إذ مُنيت روسيا بهزيمة على نهر بروث سنة ١٧١١م، واضطرت إلى تقديم تنازلات مهمة للدولة العثمانية تمثلت في إعادة مدينة آزوف وتراجع نفوذها مؤقتًا في منطقة البحر الأسود (فاروقي، ٢٠٠٨). وفي عام ١٧١٣م وقَّع السلطان على اتفاقية مع روسيا ضمنت السلام بين الاثنين لمدة ٢٥ عامًا (فاروقي، ٢٠٠٨).

لم يكن تشارلز مرحبًا به في إسطنبول، وشق طريقه إلى سترالسوند (Stralsund) الواقعة في شمال ألمانيا قرب ساحل البلطيق، وبعدها إلى ويسمار (Wismar) اللتين تُعدَّان المملكتين الوحيدتين اللتين تمتلكهما السويد قرب الشمال الألماني، وحاول تشارلز في السنوات القليلة المقبلة إقامة تحالفات مع العديد من الدول بما في ذلك الدول المعادية لروسيا، ومن الصعب معرفة خطة تشارلز ولكن يعتقد البعض أنه ليس لديه نية في الحفاظ على السلام، ويرغب فقط في استعادة السويد سمعتها ومكانتها في أوروبا الشرقية(Trueman, 2015) . يتضح لنا من خلال المرحلة الثالثة أن السويد بدأت في التراجع إلى حالة الدفاع، وانتقل زمام المبادرة العسكرية إلى روسيا، وسيطرت على المراكز الإستراتيجية في ليفونيا وإستونيا، وتعزيز قوتها البحرية كما ظهر ذلك في انتصارها في معركة هانغو. وفي الوقت ذاته أسهمت عودة التحالف المعادي للسويد، ولا سيما بعد عودة أغسطس الثاني إلى العرش البولندي، ودخول الدنمارك-النرويج مجددًا في الحرب، في تضييق الخناق على السويد من عدة جبهات، مما أدى إلى استنزاف قدراتها العسكرية والسياسية. كما عجزت السويد عن استثمار التحركات الدبلوماسية والعسكرية الخارجية، مثل محاولة استدراج الدولة العثمانية إلى الصراع، في تحقيق نتائج إستراتيجية حاسمة. وعليه مثلت المرحلة بداية الانحدار الفعلي للقوة السويدية، مقابل صعود روسيا كقوة إقليمية كبرى.

- **المرحلة الرابعة (١٧١٥–١٧٢١م): تراجع السويد والهيمنة الروسية في البلطيق**

دخلت حرب الشمال العظمى مرحلتها الرابعة بعد سلسلة من التحولات، إذ أصبحت السويد في موقع دفاعي، بينما انتقلت المبادرة العسكرية إلى روسيا وحلفائها. إذ شملت المرحلة الأعوام بين 1715 و١٧٢١م، التفوق الروسي الدائم على البلطيق بقيادة بطرس الأكبر لا سيما بعد موقعة هانغو البحرية ١٧١٤م. بعد سنوات من الإقامة في الدولة العثمانية عاد الملك السويدي تشارلز الثاني عشر إلى بلاده عام 1714م، ووجد أن الإمبراطورية السويدية فقدت جزءًا كبيرًا من أراضيها في منطقة البلطيق، لذا سعى إلى إعادة تنظيم جيشه ومحاولة استعادة نفوذه في المنطقة(Hatton, 1968) .

وفي ظل تزايد الضغوط العسكرية من قِبل التحالف المعادي للسويد، قرر تشارلز نقل مركز العمليات العسكرية إلى المناطق الإسكندنافية، إذ حاول مهاجمة الدنمارك-النرويج بهدف إجبارها على الانسحاب من الحرب مثلما حصل في المرحلة الأولى، وقد مثل ذلك التحول محاولةً إستراتيجيةً لتخفيف الضغط على الأراضي السويدية في البلطيق(Hatton, 1968) . في الوقت الذي كانت فيه السويد تحاول إعادة تنظيم دفاعاتها، واصلت روسيا بقيادة القيصر بطرس الأكبر تعزيز نفوذها في منطقة بحر البلطيق، وعملت على تثبيت سيطرتها على الأراضي التي احتلتها في ليفونيا وإستونيا إنغريا، كما واصلت تطوير مدينة سانت بطرسبورغ لتكون مركزًا سياسيًّا وتجاريًّا رئيسًا للدولة الروسية، فضلًا عن ازدياد قوة جيشها وعدته(Hughes, 1998) . ولعب الأسطول الروسي دورًا متزايد الأهمية في العمليات العسكرية خلال المرحلة، فقد استمرت روسيا في بناء قوة بحرية قادرة على منافسة السويد في بحر البلطيق، الأمر الذي ساعدها على شن عمليات عسكرية ضد السواحل السويدية نفسها (Bushkovitch, 2001). وبذلك اختفت السيادة السويدية على بحر البلطيق بعدما كان يُعرف عنه لوقت طويل باسم (البحرية السويدية). في محاولة لاستعادة التوازن العسكري قاد تشارلز حملتين عسكريتين ضد النرويج التي كانت جزءًا من مملكة الدنمارك، وقد هدفت إلى إجبار الدنمارك على الانسحاب من الحرب وإضعاف التحالف المعادي للسويد(Bushkovitch, 2001) .

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

أما الحملة الثانية فكانت في عام 1718م، وفي أثناء حصار قلعة فريدريكستن (Fredriksten) في النرويج، قُتل الملك تشارلز الثاني عشر في ظروف لا تزال موضع جدل بين المؤرخين، إذ تشير بعض الروايات إلى أنه قُتل بنيران العدو، بينما يرى آخرون احتمال تعرضه لعملية اغتيال، وقد شكل مقتل الملك نقطة تحول مهمة، إذ فقدت السويد قائدها العسكري الأبرز، مما أدى إلى تراجع قدرتها على مواصلة الحرب بنفس القوة(Hughes, 1998) . بعد وفاة تشارلز الثاني عشر، بدأت الحكومة السويدية تميل إلى البحث عن تسوية سلمية للحرب، خاصة في ظل استمرار الضغوط العسكرية والاقتصادية على البلاد، وقد جرت مفاوضات بين السويد وروسيا انتهت بتوقيع معاهدة نيستاد (Nystad) عام ١٧٢١م، التي أنهت رسميًّا حرب الشمال العظمى، وبموجب هذه المعاهدة تنازلت السويد عن إستونيا، ليفونيا، إنغريا، وأجزاء من كاريليا، واعترفت بسيطرة روسيا على سواحل البلطيق(Hughes, 1998) . كشفت لنا المرحلة الأخيرة من الحرب أن الضعف الذي أصاب السويد استمر، ورغم عودة تشارلز الثاني عشر لقيادة العمليات العسكرية بنفسه، فإنه لم يستطيع أن يحقق أي نصر على القوات الروسية وحلفائها، وقاد هجمات لاتتناسب مع امكانيات جيشه القتالية، الذي وصل الى مرحلة كبيرة من الانهيار المعنوي. وبعد وفاة تشارلز أجبرت السويد على توقيع معاهدة نيستاد التي مثلت اعترافًا دوليًّا بمكانة روسيا قوة كبرى في أوروبا الشمالية، كما أعلنت روسيا بعد الحرب عن قيام النظام الإمبراطوري تحت حكم بطرس الأكبر.

خارطة (١)

توضح لنا سير المعارك، مؤشر فيها تحركات تشارلز الثاني عشر (بالون الأحمر) وتحركات بطرس الأكبر (بالون الأخضر) ومسار العمليات العسكرية

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/0/08/Great_Northern_War_Part1.png

الخاتمة

– تكشف دراستنا أن حرب الشمال العظمى لم تكن مجرد صراع عسكري بين القوى الاقليمية في بحر البلطيق، بل مثّلت تحوّلًا عميقًا في موازين القوى في شرق أوروبا، إذ يمكن القول بأنها نقلت مركز ثقل القوة العسكرية التقليدية إلى الدولة الإصلاحية الحديثة، وتحقق ذلك من خلال اضمحلال الهيمنة السويدية على بحر البلطيق التي استمرت طوال القرن السابع عشر، ومهّدت طريق روسيا إلى الصعود كقوة أوربية كبرى.

– أظهر مجريات الحرب أن التفوق العسكري التقليدي لم يعد كافيًا لضمان استمرار الهيمنة، إذ تمكت روسيا بقيادة بطرس الأكبر، من الاستفادة من هزيمتها أمام الجيش السويدي في بداية الحرب لاسيما في موقعة نارفا عام ١٧٠٠م الى نقطة انطلاق الى اصلاحات عسكرية هائلة شملت بينة الدولة والجيش فيها، مما جعلها تحقق انتصارات متتالية على القوات السويدية.

– أسهم التحالف الروسي- البولندي – الدنماركي في تحجيم التفوق السويدي، غير ان ادوار هذه الدول لم تكن متكافئة، إذ عانت بولندا من ضعف بنيتها السياسية الداخلية على أثر سيطرة تشارلز الثاني عشر عليها، ورغم تحررها الا أنها لم تستطيع أن تلعب دورًا مهمًا في السياسة الاوروبية، ولم تستطيع الدنمارك استعادة مواقعها التقليدية في بحر البلطيق.

– أما الدولة العثمانية التي كانت حليفة السويد، شكّلت عامل توزان مهم عند دخولها الحرب وأسهمت مؤقتًا في الحد من النفوذ الروسي المتزايد على مناطق البلطيق، لكن دخولها إلى الحرب لم يغير من النتائج النهاية لها.

– شكّلت معركة بولتافا عام ١٧٠٩م نقطة التحول في الصراع العسكري التي نقلت المبادرة الهجومية من الجيش السويدي الى الجيش الروسي، وتراجعت القوات السويدية بشكلٍ كبير، وظهرت ملامح التراجع من خلال توقيعها على معاهدة نيستاد ١٧٢١م التي اذلت السويد وتنازلت عن جميع منافذها على بحر البلطيق، في المقابل حصلت روسيا على منافع لم تكن تتوقعها في بداية الحرب.

– أنّ أهمية الحرب لم تكمن في نتائجها الإقليمية وحسب، بل في كونها أسهمت في صعود وتفوق روسيا والتحاقها بالنظام الدولي الاوروبي كقوة لها ثقلها العسكري والسياسي، ورسخت أسس الدولة الروسية الحديثة وأصبحت قادرة على توظيف مواردها العسكرية والإدارية لتحقيق أهدفها الاستراتيجية وذلك كان الهدف المنشود لبطرس الأكبر عندما تولى الحكم.

– ويمكن القول إن حرب الشمال العظمى لم تكن مجرد صراع إقليمي بين قوى البلطيق، بل مثلت مرحلةً مفصليةً في تاريخ أوروبا الحديثة، إذ مهدت الطريق لصعود الإمبراطورية الروسية وإعادة توزيع مراكز القوة بينها وبين الكومنولث البولندي- الليتواني، الدنمارك، الدولة العثمانية، وفتحت مرحلة جديدة من التحولات والتوازنات الدولية التي ستحدد في القرن الثامن عشر. وفتحت الأبواب لروسيا في حلمها الدائم للوصول إلى المياه الدافئة.

التمويل

لم يتلق هذا البحث أي تمويل محدد من أي جهة مانحة في القطاعات العامة أو التجارية أو غير الربحية .

تضارب المصالح

يُعلن المؤلفون عدم وجود أي تضارب في المصالح فيما يتعلق بنشر هذه الورقة البحثية .

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

شكر وتقدير

يتقدم المؤلفون بجزيل الشكر للمؤسسة على دعمها المعنوي طوال فترة هذا البحث. لقد كان لتشجيعها وتوجيهها دورٌ بالغ الأهمية في إنجاز هذا البحث.

المصادرباللغة العربية

- أبو علية، عبد الفتاح، ياغي، أسماعيل أحمد (١٩٩٣)، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، ص١٥٥، ٢٠٨.
- أندرسون، ماتيو،(١٩٨١)، تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا، (نور الدين حاطوم، المترجمون)، دار الفكر، دمشق، ص٢٤٧، ٢٤٨.
- بالمر، روبرت، (١٩٦٤)، تاريخ العالم الحديث، الجزء الأول، (محمود حسين الأمين، المترجمون) الموصل، مكتبة الوفاء، ص٣٦٦.
- البطريق، عبد الحميد، نوار، عبد العزيز(د.ت)، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينيا، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٢٥٥، ٢٥٦.
- التكريتي، هاشم صالح، (٢٠١٦)، المسألة الشرقية المرحلة الأولى ١٧٧٤- ١٨٥٦، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩.
- التكريتي، هاشم صالح،(٢٠١٥)، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث قيام الدولة الروسية وبداية توسعها، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ص ١٠٧، ١٠٨، ١١٣.
- التكريتي،هاشم صالح، (٢٠١٧)، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ص ٦٣، ١٥٩، ١٧٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٣، ١٦٤.
- التكريتي،هاشم صالح، (د.ت)، روسيا "١٧٠٠- ١٩١٤"، بغداد، د.م، ص ٢٥، ٢٦.
- حسون، علي، (د.ت)، العثمانيون والروس، المكتب الإسلامي، القاهرة، ص ١١٢.
- صالح، محمد محمد (١٩٨٢)، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠- ١٧٨٩، مطبعة الجاحظ، بغداد،ص٤١٦.
- فاروقي، ثريا (٢٠٠٨)، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، (حاتم الطحاوي، المترجمون)، دار المدار الإسلامي، بيروت، ص ٢٤٠، ٢٤١.
- فرنادسكي، جورج، (٢٠٠٧)، تاريخ روسيا، (عبد الله سالم الزليتني، المترجمون)، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، ص١٥٣، ١٥٤.
- نعني،عبد المجيد،(١٩٨٣)، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣- ١٨٤٨، دار النهضة العربية، بيروت، ص١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٤٩، ١٥٠.
- بلاك، جيرمي، (١٩٩٤)، الحروب الأوروبية ١٦٦٠–١٨١٥، روتليدج، لندن، ص١٢١–١٢٢.
- بوشكوفيتش، بول، (٢٠٠١)، بطرس الأكبر: الصراع على السلطة ١٦٧١–١٧٢٥، مطبعة جامعة كامبردج، كامبردج، ص٣١١–٣١٢.
- فريدمان، لورنس، (٢٠١٣)، الاستراتيجية: تاريخ، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، ص٩٢.
- فروست، روبرت آي، (٢٠٠٠)، الحروب الشمالية: الحرب والدولة والمجتمع في شمال شرق أوروبا ١٥٥٨–١٧٢١، بيرسون إديوكيشن ليمتد، لندن، ص١٤٢–١٤٣، ٢٢٥–٢٢٦، ٢٣٠، ٢٦٢–٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٤.

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

- هاتون، راغنهيلد، (١٩٦٨)، تشارلز الثاني عشر ملك السويد، وايدنفيلد ونيكلسون، لندن، ص٢٦٢.
- هيوز، ليندسي، (١٩٩٨)، روسيا في عصر بطرس الأكبر، مطبعة جامعة ييل، نيو هيفن، ص١٨٦، ١٨٨، ١٨٩.
- كونستام، أنغوس، (١٩٩٤)، بولتافا ١٧٠٩: روسيا تبلغ سن القوة، أوسبري للنشر، أكسفورد، ص١٢، ٢٧، ٤٥، ٨٦.
- ماسي، روبرت ك.، (١٩٨٠)، بطرس الأكبر: حياته وعالمه، بالانتين بوكس، نيويورك، ص١١٠، ١٣٠، ٣٢٢_٣٢٣، ٥٣٥، ٥٤٠.
- بلوخي، سيرهي، (٢٠٠١)، القوزاق والدين في أوكرانيا الحديثة المبكرة، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد، ص٢١٩.
- روبرتس، مايكل، (١٩٧٨)، عصر تشارلز الثاني عشر ملك السويد، مطبعة جامعة كامبردج، كامبردج، ص٢١٤.
- روبرتس، مايكل، (١٩٧٩)، التجربة الإمبراطورية السويدية ١٥٦٠_١٧١٨، مطبعة جامعة كامبردج، لندن، ص١٤٣.
- ستون، ديفيد، (٢٠٠٦)، تاريخ عسكري لروسيا: من إيفان الرهيب إلى الحرب في الشيشان، بريغر للأمن الدولي، ويستبورت، ص٤٤.
- ترومان، سي. إن.، (١٩ تشرين الثاني ٢٠١٥)، حرب الشمال العظمى، موقع تاريخ التعلّم، ص١–٣.

Source:

- Abu Alia, Abd al-Fattah & Yaghi, Ismail Ahmad, *History of Modern and Contemporary Europe*, Dar Al-Mareekh, Riyadh, 1993, pp. 155, 208.
- Al-Batriq, Abd al-Hamid & Nawar, Abd al-Aziz, *Modern European History from the Renaissance to the Congress of Vienna*, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Beirut, n.d., pp. 255–256.
- Al-Tikriti, Hashim Salih, *A Concise History of Europe in the Eighteenth Century*, Adnan House for Printing & Publishing, Baghdad, 2017, pp. 63, 148, 150, 159, 163–164, 177.
- Al-Tikriti, Hashim Salih, *Introduction to the Modern History of Russia: The Rise of the Russian State and the Beginning of Its Expansion*, Adnan House for Printing & Publishing, Baghdad, 2015, pp. 107–108, 113.
- Al-Tikriti, Hashim Salih, *Russia (1700–1914)*, Baghdad, n.p., n.d., pp. 25–26.
- Al-Tikriti, Hashim Salih, *The Eastern Question: The First Phase 1774–1856*, Adnan House for Printing & Publishing, Baghdad, 2016, pp. 27–29.
- Anderson, Matthew, *The History of Eighteenth-Century Europe*, translated by Nour al-Din Hatoum et al., Dar Al-Fikr, Damascus, 1981, pp. 247–248.

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

- Faroqhi, Suraiya, *The Ottoman Empire and the World Around It*, translated by Hatem Al-Tahawi et al., Dar Al-Madar Al-Islami, Beirut, 2008, pp. 240–241.
- Hassoun, Ali, *The Ottomans and the Russians*, Al-Maktab Al-Islami, Cairo, n.d., p. 112.
- Na‘ani, Abd al-Majid, *Europe in Certain Modern and Contemporary Periods 1453–1848*, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Beirut, 1983, pp. 117–120, 149–150.
- Palmer, Robert, *A History of the Modern World*, Vol. 1, translated by Mahmoud Hussein Al-Amin et al., Al-Wafa Library, Mosul, 1964, p. 366.
- Salih, Muhammad Muhammad, *History of Europe from the Renaissance to the French Revolution 1500–1789*, Al-Jahiz Printing Press, Baghdad, 1982, p. 416.
- Vernadsky, George, *A History of Russia*, translated by Abdullah Salem Al-Zlitni et al., National Office for Research and Development, Tripoli, 2007, pp. 153–154.
- Black, Jeremy. (1994). European Warfare 1660–1815. Routledge, London,p.121,122.
- Bushkovitch, Paul. (2001). Peter the Great: The Struggle for Power 1671–1725. Cambridge University Press, Cambridge,p.311,312.
- Freedman, Lawrence. (2013). Strategy: A History. Oxford University Press, Oxford,p.92.
- Frost, Robert I. (2000). The Northern Wars: War, State and Society in Northeastern Europe 1558–1721. Pearson Education Limited, London,p.142,143,225, 226,230, 262,263,270,274.
- Hatton, Ragnhild. (1968). Charles XII of Sweden. Weidenfeld & Nicolson, London,p.262.
- Hughes, Lindsey. (1998). Russia in the Age of Peter the Great. Yale University Press, New Haven,p.186,188,189.
- Konstam, Angus. (1994). Poltava 1709: Russia Comes of Age. Osprey Publishing, Oxford.p.12,27,45,86.
- Massie, Robert K. (1980). Peter the Great: His Life and World. Ballantine Books, New York,p.110,130,322,323,535,540.
- Plokhy, Serhii. (2001). The Cossacks and Religion in Early Modern Ukraine. Oxford University Press, Oxford,p.219.
- Roberts, Michael. (1978). The Age of Charles XII of Sweden. Cambridge University Press, Cambridge,p.214.
- Roberts, Michael. (1979). The Swedish Imperial Experience 1560–1718. Cambridge University Press, London,p.143.

Mustansiriya University
Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies
2026 Vol .23 No. 94 pp:146-161

الجامعة المستنصرية
مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٢٠٢٦ المجلد: ٢٣ العدد: ٩٤ ص: ١٤٦- ١٦١

P- ISSN: 2070-898X E-ISSN: 2707-9775

- Stone, David. (2006). A Military History of Russia: From Ivan the Terrible to the War in Chechnya. Praeger Security International, Westport,p.44.
- Trueman, C. N. (19 November 2015). The Great Northern War. The History Learning Site.p.1,2,3.

Websites:

- https://www.britannica.com/topic/Treaty-of-Roskilde
- https://www.britannica.com/place/Livonia-historical-region-Europe
- https://www.britannica.com/biography/Charles-XI
- https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/0/08/Great_Northern_War_Part1.png

المواقع الإلكترونية:

- معاهدة روسكيلده، *الموسوعة البريطانية*. Britannica Article on Treaty of Roskilde
- ليفونيا: إقليم تاريخي في أوروبا، *الموسوعة البريطانية*. Britannica Article on Livonia
- تشارلز الحادي عشر، *الموسوعة البريطانية*، 1نيسان ٢٠٢٦
- . Britannica Article on Charles XI
- خريطة حرب الشمال العظمى، موقع ويكيميديا كومنز
- . Wikimedia Commons Map of the Great Northern War